صور من العصر العباسي :

مآكل الخلفاء العباسيين

للأستاذ صلاح الدين المنجد

لعلّ الملوك والخلفاء من أشد الناس حرصاً على انتقاء ما لذّ من الطعام وطاب ، فهم يتخيرون اللذيذ من كل شيء ، وما عليهم أتعبوا غيرهم ، أو أنفقوا الأموال الطوال في سبيل ذلك .

والخلفاء العباسيون ، كانوا يعنون بهذا الأمر كل العناية ، فكانوا يحرصون على ألا يفوتهم من لذائذ المآكل والثمار شيء . وكانت هذه اللذائذ تحمل من الأقطار إلى قصورهم في بغداد فيتمتعوا بها ، وكانوا يفرضون أن يُحمل إليهم مع خراج كل بلد ، ما حسن فيه من مأكل أو ثمر أو زهر . وهكذا كان يحمل مع الخراج الرى[1] الرمان والخوخ المقدد ، ومن أصبهان[2] والموصل العسل والشمع ، ومن الكوفة البنفسج ، ومن جرجان[3] الورس ، ومن الصيمرة[4] النارنج ، ومن طبرستان[5] الزنجبيل . وكان يحمل من مكة والمدينة والحجاز إلى الخليفة العنبر والزبيب ، ومن الأهواز[6] ثلاثون ألف رطل من السكر ، ومن فارس[7] ماء الورد والزبيب الأسود والرمان والسفرجل والتين . ومن دمشق ، فكانت ترسل إلى الخليفة التفاح ، وكان المأمون يحبّاً به ، يؤخذ إليه منه ثلاثون ألف تفاحة مع الخراج .

وكانوا إذا اشتهوا شيئاً ولم يكن له نصيب في الخراج ، أرسلوا لجلبونه . فقد كانوا يطلبون ألوان اللحوم والطيور ، ولو بعد مكانها ، فتأتيهم على البريد . وينفقون في ذلك الأموال الكثيرة .

(١) انظر ما كتبه ياقوت (معجم البلدان ٢ / ٨٩٢) عن الرى .
(٢) انظر ما كتبه ياقوت (معجم البلدان ١/٢٩٢) عن أصبهان .
(٣) انظر ما كتبه ياقوت (معجم البلدان ٢ /٤٨) عن جرجان .
(٤) انظر ما كتبه ياقوت (معجم البلدان ٣/٤٤٢) عن الصيمرة .
(٥) انظر ما كتبه ياقوت (معجم البلدان ٣/٥٠١) عن طبرستان .
(٦) انظر ما كتبه ياقوت (معجم البلدان ١ ـ ٤١٠) عن الأهواز .
(٧) انظر ما كتبه ياقوت (معجم البلدان ٣ ـ ٨٣٥) عن فارس .

وكل هذا ليتمتع الخليفة بالطيبات من المآكل والأثمار .[1]

ومظهر هام من مظاهر هذه العناية يتجلى لنا ، عند بعض الخلفاء ، بالألوان الكثيرة التي كانت تهيأ له من الطعام . وقد كان عدد هذه الألوان يبلغ مبلغاً ، ما سمع ولا عرف . حدث جعفر بن محمد — وكان أحد العشرة الذين اختارهم المأمون لمجالسته ومحادثته من الفقهاء والمتكلمين وأهل العلم — قال : تغدينا يوماً عنده — أي عند المأمون — فظننت أنه وضع على المائدة أكثر من ثلاثمائة لون . وكلما وضع لون ، نظر إليه المأمون فقال : هذا يصلح لكذا ، وهذا نافع لكذا .[2]

ومهما يكن من أمر هذا الظن الذي ظنه هذا الفقيه ، فلابد أن يكون عدد ألوان الطعام كبيراً . وقد كنا نرتاب بالخبر لولا أن ذاكره هو ابن طيفور ، ولم يؤرخ المأمون أحد مثله .

ويؤيد ما ذكرناه من تكثير الخلفاء ألوان الطعام ما رواه المسعودي ، فقد ذكر أن الرشيد كان ينفق على طعامه في كل يوم عشرة آلاف درهم . وأنه ربما اتخذ له الطباخون ثلاثين لوناً من الطعام .[3] وكان يتخذ للقاهر اثني عشر لوناً (آدم متز ١/٢٤٧)

فلننظر الآن فيما كانوا يرغبون فيه .

نلاحظ أن أكثر ميل ملوك بني العباس كان إلى اللحوم ، وخاصة لحوم الدجاج . يقول الجاحظ : وملوكنا وأهل العيش منا لا يرغبون في شيء من اللحمان رغبتهم في الدجاج . وهم يقدمونها على البط والنواهض والدراج ، وعلى الجداء .. وهم يأكلون الرواعي كما يأكلون المسمنات .[4]

أما رغبتهم في الدجاج فذلك لأنه أكثر اللحوم تصرفاً . فهي تطيب شواء ، ثم حاراً ، وبارداً ، ثم تطيب في البز ماورد ، وهو طعام من البيض واللحم ، أو من رقاق ملفوفة بلحم ، ثم تطيب في المرائس ، وتطيب طبيخاً ، وإن قطعتها مع اللحم دسم ذلك اللحم ، وتصلح للحشاوى . وسمينها يقدم في السكباجة على البط .[5]

(١) انظر فيما يتعلق بهذا الخبر ، وبما سبقه : ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي ص : ٤٢٢ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، وانظر لطائف المعارف للمؤلف نفسه (ليدن) ص ٩٠ .
(٢) تاريخ بغداد لطيفور (الجزء السادس) ص ٥٣ .
(٣) حضارة الاسلام في دار السلام ص ١١٠
(٤) الحيوان (تحقيق هارون) ١ ـ ٢٣٣ .
(٥) الحيوان ج ٢ ص ٢٥٠ .